

DOI: 10.54240/2318-015-001-015

التجارة بين صالح بين 1864 - 1957 م

In-Salah 's trade between 1864 and 1957

اسم ولقب المؤلف المرسل: رشيدة برمكي - Rachida Barmaki صص 324-340
الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه سنة رابعة- جامعة أحمد دراية- أدرار- الجزائر.

البريد الإلكتروني: rachida.bar87@univ-adrar.edu.dz

اسم ولقب المؤلف الثاني: أحمد الحمدي - Ahmed Elhamdi

الدرجة والعنوان المهني: أستاذ التعليم العالي- جامعة أحمد دراية- أدرار- الجزائر.

البريد الإلكتروني: Elhamdi28@univ-adrar.edu.dz

تاريخ الاستقبال: 2024/06/23.. تاريخ المراجعة: 2024/07/10.. تاريخ القبول: 2024/11/15.

الملخص: تمثل إن صالح الواقعة في الجزء الشرقي من إقليم توات نقطة إستراتيجية بالنسبة للتجارة الصحراوية، يعتبر القرن التاسع عشر فترة انتعاش النشاط التجاري للمنطقة، حيث أضحت نقطة عبور ضرورية في طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء باتجاه أسواق الشمال و الجنوب، وقد ارتبطت ان صالح تجاريا بعدة أسواق أهمها أسواق توات (رقان، تمنطيط)، والأسواق الشرقية (غدامس، غات، طرابلس)، وأسواق السودان (تنبكتو، غاو، البورنو). وقد جلبت إليها الأنظار منذ منتصف القرن 19 م، حيث تكثفت الرحلات الاستكشافية الأوروبية عامة والفرنسية خاصة من أجل اكتشاف طرق ومسارات التجارة الصحراوية وربطها بأسواق الجزائر. وفي هذا السياق يمكن لسجلات المحكمة الشرعية لإن صالح ان تقدم معلومات حول طبيعة الحياة الاقتصادية في المنطقة، كما توضح جانبا من جوانب النشاط التجاري للمنطقة مثل طبيعة المنتجات المتداولة والأسواق التي كانت ترتبط بها المنطقة خلال القرن العشرين، وهو ما سنحاول التعرف عليه من خلال هذا المقال الذي يتناول التجارة بإن صالح بين سنتي 1864م- وهي السنة التي زار فيها الرحالة الألماني رولفس المنطقة وقدم معلومات حول حجم وطبيعة التجارة في المدينة- و1957م.

الكلمات المفتاحية: إن صالح، سجلات المحكمة الشرعية، التجارة الصحراوية، توات، تيديكلت، الرحالة الأوروبيون، المسالك التجارية، الطوارق، غدامس، غات، تنبكتو.

ABSTRACT: In Salah which is located in the eastern side of Touat region, represents a strategic point for Saharan trade. The 19th century was considered as a resuscitation period of commercial activity of this region. At that time, In Salah has become an essential crossing point on the route of trans- Saharan trade caravans towards the northern and southern markets. In Salah was linked commercially with several markets. Some of The most important markets are Touat markets (Ragan and Tamantit), eastern markets (Gadames, Ghat and Tarabulus, and Sudan markets (Tanbukt, Gao, El Borno). Since the middle of the 19th century, In Salah was attracted attention, in which European expeditions in general and French ones in particular were intensified in order to discover the methods and pathways of the Saharan trade as well as to link it with Algerian markets. In this context, the legitimacy court records of In Salah can provide information about the nature of economic life in this region as well as show an aspect of business activity of area like the nature of the tradable products and markets which was associated with during the 20th century, which we will try to find out in this article on In Salah's trade between 1864 CE and 1957 CE. In 1864 CE, the German traveler Rufus visited the area and provided information about the volume and nature of trade in the town.

Keywords: In Salah, legitimacy court records, Saharan trade, Touat, European expeditions, Touareg, Ghadames, Ghat and Timbuktu.

المقدمة: تقع إن صالح في جنوب الجزائر وهي جزء من مجال أوسع وهو توات¹ بأقاليمه الثالث؛ قورارة وتوات الوسطى وتيديكلت، وهذه الأخيرة تنقسم الى قسمين تيديكلت غربية حاضرتها أولف وشرقية حاضرتها إن صالح، تمتد المنطقة من إينغر غربا إلى فقارة الزوى شرقا، وحسب التقسيم الإداري الجديد هي اليوم ولاية كاملة الصلاحية بعدما كانت تابعة لولاية تمنراست. يعرف هذا الحيز الجغرافي باستواء سطحه مع وجود بعض العروق والهضاب كهضبة تادمايت، وتيديكلت عبارة عن سهل يتميز بالانحدار البسيط من الشمال الشرقي باتجاه الجنوب الغربي، وتتخلله مجموعة من المسارات والوديان، ويسود المنطقة المناخ الصحراوي البارد شتاءا والحار صيفا²، ويشهد المجال هبوب رياح قوية بشكل دائم تقريبا بين

1- توات: هي إحدى الأقاليم الكبرى بالصحراء الجزائرية يحدها شمالا واد الساور و جنوبا رق تنزروفت وشرقا واد امقيدن و غربا عرق شاش . انظر: عبد الله بابا- الحياة الاجتماعية والاقتصادية بإقليم توات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962م من خلال سجلات المحكمة الشرعية- أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر- إشراف الدكتور مبارك جعفري- كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية- جامعة أدرار- الجزائر- 2019/2018- ص 18 و ما بعدها.

2- توفيق بوزناشة- دليل الجمهورية- ج 1- اكسوس تي في- الجزائر- 2013- ص 617.

شهري فيفري وماي¹، وتضم المنطقة القصور التالية: قصر المرابطين، قصر العرب، الدغامشة، البركة، حاسب لحجار، إيقسطن، الفقيقية، الساهلتين؛ الفوقانية والتحتانية، الزاوية، فقارة العرب، فقارة الزوى، إينغر².

شكلت الصحراء الكبرى مجالا واسعا للالتقاء الشعوب بين ضفتيها، وقد شجعت الحركة التجارية بين حواضر ومدن الصحراء تعزيز هذا التواصل، ففي ظل الظروف الطبيعية للصحراء من ارتفاع درجة الحرارة وموجات الجفاف كانت التجارة أهم مورد اقتصادي لشعوب المنطقة، فالقوافل التجارية التي كانت تجوب الصحراء من الشمال إلى الجنوب ونظرا لشساعة المساحة وطول الأبعاد اتخذت من حواضر الصحراء مراكز للاستراحة والتزود بالبضائع، وهو ما ساعد على ازدهار مدن عديدة من بينها: تنبكتو، وغات، وأقاديس، وغاو، وغدامس، وتوات، وغرداية، وإن صالح. وقد أصبحت هذه الأخيرة منذ القرن 19 م محطة عبور مهمة في طريق القوافل التجارية العابرة للصحراء باتجاه الأسواق في الشمال أو الجنوب، وقد ساعدها على ذلك تحول طرق التجارة الصحراوية من الهقار مثلا بسبب انعدام الأمن واستمرار المناوشات بين القبائل المتصارعة، يضاف إلى ذلك أهمية الموقع الجغرافي للمدينة. وتحاول هذه الدراسة الإحاطة بهذا الموضوع بالاعتماد على سجلات المحكمة الشرعية³، إذ تقدم مادة هامة حول الأوضاع الاقتصادية عامة في المنطقة بما فيها النشاط التجاري، وسنعالج هذا الموضوع من خلال الإشكالية التالية: أين تتجلى أهمية الموقع الجغرافي لإن صالح؟ وما دوافع اهتمام فرنسا بالمنطقة؟ وما طبيعة التجارة الداخلية والخارجية للمنطقة؟ وما أهم المسالك والطرق التجارية التي تربط بينها وبين الأسواق الصحراوية؟

1- الدراسة التاريخية للمنطقة:

1- Colonel D'eu- In Salah Et Le Tidikelt- Librairie Militaire R Chapelot- Paris-1903- p100.

2- سعيدان التومي- سكان تيديكلت القدماء والانتقال على النفس- العالمية للطباعة والنشر-الجزائر-2012-ص18.

3- سجلات المحكمة الشرعية: مجموعة من الدفاتر والسجلات المختلفة الأحجام، يبلغ عدد-التي اطلعنا عليها-خمس من الحجم الكبير، دفتر صغير، تغطي فترة هامة من تاريخ المنطقة خلال الفترة الاستعمارية، و هي بحوزة عائلة الطالب عبد الله القاطنة قصر المرابطين إن صالح. للمزيد انظر: برمكي رشيدة و الحمدي أحمد- جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية لإن صالح من خلال سجلات المحكمة الشرعية- مجلة رفوف- م 12- ع 01 ماي 2024- ص 713.

1-1 دوافع اهتمام فرنسا بإن صالح: بعد احتلال فرنسا الجزء الشمالي من الجزائر بدأ التفكير في التوسع نحو الجنوب باحتلال الصحراء، وقد لعب التنافس بين القوتين الاستعماريتين التقليديتين فرنسا وبريطانيا دوره في تسريع عملية التوسع في الصحراء، ومن أهم أسباب اهتمام فرنسا بالمنطقة نذكر:

- مسألة الحدود الجنوبية: شكلت الصحراء بامتدادها الجغرافي عمقا استراتيجيا للمقاومات الشعبية في الشمال، إذ كانت الصحراء ملجأ للعديد من القبائل¹ التي لم تعترف بالسلطة الفرنسية.

- التحكم في تجارة الصحراء: والذي اشد في الفترة الممتدة بين سنتي 1852 و 1882 إذ لوحظ أن تحركات فرنسا كانت نحو المراكز المهمة للتجارة الصحراوية، فالتركيز على إن صالح كان بهدف جلب تجارة الصحراء الغربية إلى الجزائر العاصمة².

- الموقع الجغرافي لإن صالح: ساهم الموقع الجغرافي المتميز لإن صالح في زيادة الاهتمام الفرنسي بها، و تتجلى هذه الأهمية من خلال:

- كونها بوابة للسلع والبضائع القادمة من الشمال و الجنوب: بحكم وقوعها وسط الصحراء الإفريقية، فهي بذلك نقطة هامة اذ تصل من خلالها جميع البضائع القادمة من غدامس لتوزع في أنحاء توات، أو تعبرها السلع ليتم تصديرها إلى أسواق الجنوب³.

- معبر مهم لتدفق التجارة نحو السودان: عقب الاحتلال الفرنسي لتبكتو سنة 1894، سعت فرنسا لربط أسواق السودان بأسواق الجزائر، وقد أشارت تقارير العديد من المستكشفين إلى هذه النقطة أي إن صالح، والتي يمكن من خلالها خلق تدفق تجاري نحو السودان⁴.

- الموقع الاستراتيجي للمنطقة بالنسبة للتجارة الصحراوية: تطرقت العديد من تقارير الرحالة الفرنسيين إلى الدور الذي يمكن لإن صالح أن تلعبه في التجارة الصحراوية بالنظر إلى موقعها

1- لجأ الشيخ بوعمامة إلى واحات توات و احتفى بسكان لدول بمقاطعة قورارة مع نهاية سنة 1883. انظر: إبراهيم مياشي- الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934- دار هومة- الجزائر 2005- ص 305.

2- عبد الرحمان تشايحي- الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى- منشورات مركز جهاد اللبيني- ليبيا- 1982- ص 53.

3 -Cambon Jules -Documents Pour Servir A L'etude Du Nord Ouest Africain- Publisher Gouvernement Général De L'Algérie- Service Des Affaires Indigènes- Alger- 1894-1897- p454.

4 - Déporter. La Question du Touat au Sahara Algérien- Ed- Alger Fontana- Alger- 1891-p62.

- بعثة الإنجليزي جوردون لينغ (Gordon Laing): يعد أول أوروبي دخل تيديكلت كان معروفا بين السكان ب "الرئيس"¹، وصل إن صالح يوم 04 ديسمبر 1825 وغادرها منتصف جانفي من السنة الموالية. يعد أول من وضع الإحداثيات الفلكية للمنطقة، وعلى الرغم من أنه لم تكن له علاقة مباشرة بالإدارة الفرنسية، إلا أن هذه الأخيرة استفادت من المعلومات التي تضمنتها رحلته، حيث دون بعض الجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع، كما استطاع تحديد الطرق التجارية التي كانت تعبرها القوافل التجارية قديما كالطريق الرابط بين إن صالح ومراكش وفاس، والطريق بين إن صالح وأغادس، وقد تعرض لينغ للاغتيال في 24 سبتمبر 1826م في طريق عودته من تنبكتو إلى طرابلس وبذلك ضاع جزء كبير من أوراقه الشخصية².

- رحلة جيرهارد رولفس (Gerhard Rohlfs): بدأ الرحالة الألماني رحلته من المغرب قاصدا تنبكتو، مر بالساورة أولا، ثم توات حيث وصل إن صالح يوم 17 سبتمبر 1864 ودخلها متنكرا في زي طبيب تركي، ومكث بها مدة شهرين، حيث كان تحت حماية كبير عائلة أولاد باجودة الحاج عبد القادر، وغادرها يوم 29 أكتوبر من نفس السنة³، سمحت له مدة إقامته الطويلة- نسبيا- في المدينة بنقل معلومات وافية عنها، إذ يعتبر وصفه لها الوصف الوحيد الذي وصل إلى العالم قبيل الاحتلال الفرنسي أواخر القرن التاسع عشر⁴.

- رحلة بول صوليهيه (Paul Soleillet)⁵: وصل بول صوليهيه الجزائر العاصمة قادما من مرسيليا يوم 06 سبتمبر 1872، وكان يهدف للقيام برحلته من الجزائر وصولا لإن صالح من أجل معرفة الطرق التجارية العابرة للصحراء ومحاولة ربط التجار من توات بالفرنسيين في

1 - Voinot Louis - op- cit- p83.

2- رحلتان عبر ليبيا- رحلة فريدريك هورنمان من القاهرة إلى مرزق 1797_1897 ورحلة ورسائل الرائد ألكسندر جوردون لينغ 1824_1826- نقله إلى العربية: دار الفرجاني- مكتبة الفرجاني- ليبيا-1974- ص382.

3 - Rohlfs Gerhard- Voyages Explorations Au Sahara- Tom 1-Pairs- p229.

4- عبد القادر بويابة- دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية- مجلة عصور- العدد (5/4)- ديسمبر 2003/جوان 2004- ص158.

5- بول صوليهيه: هو جون جوزيف ماري ميشيل بول صوليهيه (Jean- Joseph- Marie- Michel- Paul Soleillet)- رحلة فرنسي ولد بمدينة نيم (فرنسا) يوم 29 أبريل 1842، عرف عنه من الصغر حبه للسفر والمغامرات والترحال، التحق بالجيش الفرنسي سنة 1870، قام بثلاث رحلات خلال حياته أهمها رحلته إلى إن صالح بين 1872-1874 بتكليف من غرفة التجارة في الجزائر العاصمة، توفي بول صوليهيه في سبتمبر 1886 بانجلترا. للمزيد أنظر:

Narcisse Faucon- Livre d'Or L'Algérie- Paris- 1889- pp526-527.

الشمال، فوصل مليانة (20 كلم شمال إن صالح) لكنه مُنع من دخول المدينة لكن هذا لم يمنعه من القيام باتصالات مع أعيان المنطقة، حيث تضمنت رحلته معلومات حول الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية عن المدينة وقد استغلها الإدارة الاستعمارية للتوسع في الجنوب¹، وقد نهت رحلته إلى أهمية المدينة في التجارة الصحراوية كما حددت الطرق التجارية التي كانت تعبرها القوافل قديما مثل الطريق من تلمسان إلى إن صالح عبر وادي فير، ومن الجزائر إلى النيجر، وهو طريق مباشر يمر عبر الأغواط، وادي ميزاب، المنيع، إن صالح ومنها إلى تنيكوتو².

2- التجارة بإن صالح:

1.2- التجارة الداخلية: تمثلت في الأسواق الداخلية و الحوانيت الصغيرة المنتشرة في قصور وحواضر المنطقة، ويعتبر سوق إن صالح السوق الوحيد بالمدينة، يتمتع بشهرة ومكانة محلية وخارجية، كما يشكل همزة وصل مع باقي أسواق إقليم توات. يقع السوق عند مدخل المدينة من الجهة الغربية في قصر العرب (القصر الكبير)، وقد لاحظ رولفس أثناء زيارته المدينة سنة 1864 مدى تنوع المنتجات التي تعرض فيه و التجار الذين يقصدونه؛ من غدامس، وتوات، وبني ميزاب، والشعانية، والتوارق³، وهو نقطة هامة لالتقاء القوافل التجارية العابرة للصحراء من كافة الاتجاهات⁴.

يقدم تجار إن صالح خدمات متنوعة للتجار الأجانب، من كراء لمتاجر البيع بالتجزئة وتوفير أدلاء للقوافل التجارية⁵، ومن المنتجات التي تعرض بالسوق نجد: الذهب، والعاج،

1 - Gros Juies - op- cit- p18.

2 - Soleillet Paul - Avenir de la France en Afrique- Paris- Challamel-1876-pp -6-7.

3 - Rohlfes Gerhard- Op- Cit- p236.

4- فرج محمود فرج- إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 2007- ص 66.

5- من العائلات التي اشتهرت بمزاولة التجارة في إن صالح، عائلتي أولاد المختار وأولاد باجودة، وهما من القبائل العربية في إن صالح وهم أولاد عمومة جدهم الأعلى عمر ملوك الذي قدم من منطقة الجبل الأخضر بليبيا، وقد لاحظ لوشاتليه أن أغلب المجال التجارية بسوق إن صالح عائدة لأولاد المختار، في حين تخصص أولاد باجودة في حماية الطرق والمسارات التي تربط المدينة بالأسواق الأخرى خاصة طريق تنيكوتو- إن صالح، و طريق إن صالح - غدامس للمزيد ينظر:

M.A.Le Châtelier- D scription de L'Oasis D'In- Salah- Alger Fontana-1886- p52.

والعبيد، والأقمشة القطنية، والبن، والتمور، والسكر، والتوابل¹. وبدورها تتولى المتاجر والحوانيت الموزعة عبر قصور وأحياء المدينة توفير الأساسيات من السلع والبضائع لسكان المنطقة، ومن المحلات التي ورد ذكرها في السجلات نجد: حانوت الحاج محمد بن بركة وحانوت محمد بن أحمد سبابو يحي أولاد بلگاسم، وحانوت سالم بن فراحي بهنو، وحانوت محمد بن أسلامة وحانوت قاسم بن سويلم بأقبور، حانوت عبد الفضيل بن قدور يحي أولاد الحاج، وحانوت عبد الرحمان بالحاج يحي الحذب².

وبالعودة لسجلات عقود البيع والشراء نلاحظ مدى الحركية التجارية التي شهدتها المنطقة، حيث يبلغ عددها 346 عقد تغطي الفترة من 1945-1956، وتعتبر تجارة العقارات من بيع للبيوت والمحال التجارية في طليعة العمليات التجارية تليها الأراضي الزراعية³. كما تتضمن العقود عقود بيع عائدة للنساء يبلغ عددها 76 عقدا أي بنسبة 21.96٪ من مجموع العقود، وهذا يعكس بدوره مشاركة المرأة ودورها في النشاط التجاري ومدى الحرية التي كانت تتمتع بها في التصرف في ممتلكاتها⁴.

ترتبط إن صالح تجاريا بعد أسواق داخلية، أهمها أسواق توات (رقان، وتمنطيط)، حيث يتم استيراد الحناء والتبغ من إنزجمير⁵، وتعد تجارة التمور من أهم صادرات إن صالح للأسواق الداخلية، إذ تشتهر المنطقة بجودة وتنوع تمورها، ومن أهم أنواع التمور: الدكلة، وتقازة، وتزرزيت، وأحرطان، وتنقور، وتقربوش، وورقلية، وأفقيعلي⁶. والنماذج الآتية من التقارير توضح ذلك: "طلب تسريح حمولة تمر تقدر ب 30 قنطار للمسمى الحاج بركاوي ابن عبد القادر متوجه ها إلى رقان لبيعها هناك"⁷، وفي تقرير آخر يقول: "طلب عبد القادر بن

1 - Rohlfs Gerhard- Op- Cit- p236.

2- سجل التقارير والمراسلات (1951-1960) ع-88-16 أبريل 1957.

3- سجلات البيع والشراء (1945-1956).

4- سجل البيع والشراء (1950-1956).

5- Cambon Jules –Op-Cit- p 382.

6- س-تق- مرا- المصدر السابق- ع 130-04/08/1953.

7- نفسه- ع 10-19/01/1951.

عومر تسريح حمولة 35 حمل¹ تمر، متوجه بها إلى آزفر (إيليزي)²، وقد ذكرت إحدى التقارير عن وجود تجار من عين صالح بأزفر وهم: قدور بن محمد³، وعبد الرحمان بن محمد بن بُعمامة⁴.

أما مع جانت فيسلط أحد التقارير الضوء على المواد المتبادلة بينها وبين إن صالح وهي: حايك (04)، أقماج (02)، قندور ستان (06)، قالب سكر (230)، قابصة زلاميط (علب الكبريت 100)، بيصات⁵ كتان أكحل (14)، بيصات شاش مبرد (02)، محارم حرير (09)⁶.
- مع الطوارق⁷: تعد إن صالح منفذا تجاريا مهما لطوارق الهقار، يعرضون فيها منتجاتهم وبالمقابل يتزودون منها بالإمدادات التي يفتقرون إليها في بلادهم، يزود الطوارق سوق إن صالح بالجلود واللحوم المجففة والزبدة والإبل، ويأخذون معهم كميات من السلع القطنية⁸ والماعز والتمور، أما سوق إن صالح فيستورد الدهن (السمن) ولحم لروي (الغزال) والجمال والحمير والجلود⁹.

1- الحمل: وهو أكبر الوحدات وهو وزن ما يستطيع الحمل حمله، يتراوح في المتوسط ما بين 150 إلى 250 كلف. ينظر: محمد أعفيف- توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها- سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70-ط1- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- الرباط- المغرب 2014-ص 121.

2- س- تق- مرا- نفسه- ع 208- 1951/10/23.

3- نفسه- ع 222- 1951/11/07.

4- نفسه- ع 225- 1951/11/07.

5- البيصة: هي وحدة لقياس القماش، وهي لفة يبلغ طولها أربعين ذراعا. انظر: صالح بوسليم- إقليم توات و دوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 19/18 م- منشورات مخر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ و الحضارة الإسلامية بجامعة غرداية- الجزائر- ط1- 2019- ص 195.

6- س- تق- مرا- نفسه- ب ع 14- 1931/04/14.

7- الطوارق: قبائل بربرية من أقدم سكان الصحراء، وقد أشار لذلك ابن حوقل (ق 10م)، والبكري (ق 14م)، ويذهب ابن خلدون (ق 15) إلى أن أجداد الطوارق من الصنهاجيين، ويتوزع الطوارق في ثلاث مجموعات؛ طوارق التاسيلي ناجر (الجزائر) وقد انقرضوا تقريبا، و طوارق جبال أدرار (مالي)، و طوارق الهقار بالجزائر، و الأخيرين هم من ارتبطوا علاقات تجارية مع إن صالح. انظر: محمد السويدي- بدو الطوارق بين الثبات و التغير- دراسة سوسيو-انثرو بولوجية في التغير الاجتماعي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1986- صص 71-76.

8- يرى لوشاتليه أن تجار الطوارق يحظون بمعاملة خاصة في إن صالح على غير التجار الآخرين، و يبرر ذلك بالتحالف القوي بينهم و بين تجار إن صالح (خاصة أولاد باحمو)، هذا لأنهم -حسب رأيه- أسياذ الصحراء. انظر:

M.A.Le Châtelier- Op- Cit- p71.

9- س- تق- مرا- المصدر السابق- ع 210- 1951/10/24.

- مع غرداية (بني ميزاب) والجزائر: هي الأخرى محدودة و تكاد تقتصر على تجارة العبيد، حيث ينطلق تجار إن صالح بعد أن يبيعوا منتجاتهم في سوق الجزائر ينطلقوا بأموالهم للشراء من سوق غدامس أو تافيلالت المنتجات المصنعة في أوروبا فهي أرخص مما عليه في سوق الجزائر¹.

2-2- التجارة الخارجية وأهم المسالك التجارية: بعد الاحتلال الفرنسي للمنطقة تراجع حجم التجارة الخارجية خاصة مع السودان، وتراجع معها تدفق القوافل التجارية لإن صالح بسبب انعدام الأمن في المسارات التجارية، ومنذ عام 1907 تم تركيز الإدارة الاستعمارية على ضرورة استعادت التدفق التجاري نحو المدينة، وبناء عليه قدمت سنة 1909 منحة مالية استفاد منها عدد من تجار توات بمن فيهم تجار إن صالح بلغت قيمتها 10000 فرنك²، وقد تمحورت التجارة الخارجية لإن صالح مع الأسواق الشرقية، وأسواق الجنوب.

- مع الأسواق الشرقية (غدامس، طرابلس، غات):

- مع غدامس: تعتبر غدامس من أهم المدن الليبية من حيث التعامل التجاري مع إن صالح ، فقد كانت هذه الأخيرة وجهة تجارية هامة للتجار الأجانب من تنبكتو، وتوات، والميزاب، وغدامس، وقد استقر العديد من التجار الغدامسين بالمدينة لأغراض تجارية، ومن أهم المنتجات التي تصدرها إن صالح إل غدامس ما يلي: الشب، الحناء، الملح الصخري، الجلود المدبوعة، جلود الماعز، العبيد، مسحوق الذهب، الأقمشة القطنية، ريش النعام. وقد صادف عودة رولفس من إن صالح إلى غدامس رفقة قافلة تجارية محملة بريش النعام والتي تعود لتاجر ثري من غدامس قدر رولفس قيمة ريش النعام ب 200000 فرنك سنويا³، وحسب إحصائيات أخرى بلغ عدد البضائع المنقولة من غدامس إلى إن صالح أواخر سنة 1884م أكثر من 150 حمولة بلغت قيمتها حوالي 75000 فرنك، في الوقت الذي بلغت الصادرات 100 ألف فرنك، وبلغ إجمالي الواردات السنوية 300 ألف فرنك⁴. ومن جهة أخرى تستورد إن صالح من

1 - Soleillet Paul - Op- Cit- pp 138-139 .

2 - Gouvernement Général de l'Algérie- Commissariat Général de Centraïne- les Territoires du Sud de l'Algérie- Année 1909-pp 80-81.

3 - Rohlf- Op- Cit- p236.

4 - Cambon Jules – Op-Cit- p458.

سوق غدامس المنتجات التالية: القطن (الأبيض والأسود و الأزرق)، السكر، القهوة، الشاي، التوابل، خردوات، الطرايش، الأحذية¹.

- أما مع سوقي طرابلس و غات: فتستورد إن صالح منهما: أقمشة قطنية، السكر، القهوة، الفلفل الأحمر²، بالإضافة إلى السروج المهارية، المصنوعات الجلدية، لكن تبقى الحركة التجارية بين هذه الأسواق وسوق إن صالح محدودة مقارنة بسوق غدامس حيث لا تتعدى 5000 أو 6000 فرنك سنوياً³. ويورد أحد التقارير نوعية المنتجات القادمة من غات وهي: مواد غذائية (السكر، الشاي)، ملابس رجال ونساء (برانيص، حواله (ملابس) محارم، نعايل، عباية صوف)⁴، ويلاحظ أن أغلب هذه المواد يتم تصديرها من سوق إن صالح نحو سوق غات⁵.

- مع أسواق السودان الغربي: خاصة مع تنبكتو، وبورنو، وتأتي تجارة العبيد مع هذه البلدان على رأس المبادلات التجارية، حيث يتم جلب العبيد إلى أسواق توات من السودان الغربي خاصة من قبائل: السكوتو، وموسي، والبورنو، والبيرمي، ويلاحظ تفاوت في أسعار العبيد من منطقة لأخرى حسب الجنس والعمر، فهي ترتفع كلما اتجهت باتجاه أسواق توات وقورارة وتيديكلت، حيث يتراوح سعر العبد (الرجل) في إن صالح ما بين 350 و 500 فرنك في حين قد يصل سعر المرأة إلى 400 أو 500 فرنك⁶. وقد تراجعت أسعار العبيد في إن صالح بنسبة 50٪ خلال الأعوام التي سبقت الإحتلال الفرنسي، ثم انتهت هذه التجارة باستيلاء فرنسا على تنبكتو وإلغاء هذه التجارة في المستعمرات الفرنسية⁷، ومع ذلك وجب القول أن تجارة العبيد لم تكن بالحجم الذي تصوره بعض المراجع الأجنبية، فقد لا حظ رولفس أن أعداد العبيد الذين يعبرون إن صالح باتجاه طرابلس أو تونس قد لا يتعدى المئات في السنة⁸.

1 - Ibid- p458.

2- فرج محمود فرج- المرجع السابق- ص 67.

3- Cambon Jules – Op-Cit- p461.

4- س-تق- مرا- المصدر السابق- ب ع- 1931/06/31.

5- نفسه- ب ع- 1953/12/19.

6-Bissuel Henri -Le Sahara français- Ed. Adolphe Jourdan Libraire- Alger- 1891-p54.

7 - Cambon Jules – Op-Cit- p467.

8 - Rohlf- Op- Cit- p237.

إلى جانب تجارة العبيد نجد من المنتجات السودانية التي تصل إن صالح من سوق بونرو: العاج، مسحوق الذهب، الصمغ، ريش النعام، قرون وحيد القرن، جلود، عطور¹. أما من سوق تنبكتو فنجد: الجلود، البهارات، الأغنام، بعض المنتجات الغذائية مثل الجبن المجفف (تيكمارين)²، بالإضافة إلى الذهب، المسك، النيلي، و قد قدر البعض متوسط حجم التجارة بين تنبكتو وإن صالح- قبل الاحتلال الفرنسي- ب 150000 أو 200000 فرنك سنويا³.

وبالمقابل تصدر إن صالح لهذه الأسواق: الأقطان الأوروبية بأنواعها، مناديل الحرير، الملابس(البرنوس والحايك)، الأسلحة(البنادق والسيوف)، مسحوق الذهب، مرايا، أواني منزلية، الشموع، أعواد الكبريت، البهارات، السكر، القهوة، الشاي، التبغ، التمور بأنواعها، الورق، السروج، الزيت⁴. وتبقى التمور من أكثر المواد الغذائية تصديرا للسودان، وتقدم التقارير التالية نماذج عن حجم هذه التجارة، نقرأ في التقرير الآتي: "تصدير 10 أحمال تمر لبلاد السودان"⁵، وفي تقرير آخر: "طلب المسى محمد العربي ابن محمد إبراهيم تصدير 15 قنطار تمر تقازة لتصديرها لبلاد أقدز(النيجر)" ، و قام نفس التاجر بطلب تصدير 12 قنطار من نفس نوعية التمر إلى نفس الوجهة وذلك سنة 1954⁶.

ومن أهم الطرق والمسالك التجارية التي تربط المنطقة بالمراكز والحواضر في الصحراء الكبرى نجد:

- طريق إن صالح- غاو: عن طريق الهقار ويبدأ هذا الطريق من إن صالح ، والهقار، وغات، وكاهر، وصولا إلى غاو، وهو من الطرق القديمة حيث سلكه ابن بطوطة أثناء عودته من غاو إلى فاس⁷.

1 -Gros Juies - Op- Cit- p138.

2- Martin(Alfred.G.P) - Les oasis Sahariennes Gourara- Touat- Tidikelt-Edition de l'imprimerie algérienne- Alger- 1908- P 317.

3 - Cambon Jules – Op-Cit- p472.

4 - Bissuel Henri- Op- Cit- p45.

5- س- تق- مرا- المصدر السابق- ع 29- 1954/02/12.

6- نفسه- ع 214- 1954/11/29.

7- محمد بن عبد الله ابن بطوطة- رحلة ابن بطوطة: محفة النظر في غريب الأمصار و عجائب الأسفار – تح: محمد عبد المنعم العريان-

راجعته مصطفى القصاص- دار إحياء العلوم- لبنان- ج2- ط1- 1987- ص ص 712-713.

- طريق إن صالح- تنبكتو: ينطلق من إن صالح ، ثم إينغر، تيط، أقبلي، زاوية حينون، المالح، عين الشبي، تمادناين، وهي آخر نقطة في توات، ثم يأتي بعدها حاسي تياين، والن، صحراء تزروفت، عين زنان، لمبروك، المامون، بوجبهة، تنبكتو، ومن المامون تذهب بعض القوافل إلى أروان ثم إلى تنبكتو¹. وتستغرق الرحلة عبر هذا الطريق بين 25 إلى 35 يوما، وفي حالة القوافل الكبيرة العدد قد تصل إلى 40 يوما ويذهب رولفس إلى أن الطوارق العزل قد يقطعون الطريق في وقت يتراوح بين 12 و 15 يوما².

لم تكن الرحلة عبر هذا الطريق آمنة دائما فبالإضافة إلى الكوارث التي تحدثها رياح الجنوب والتي كثيرا ما تقضي على نجوع وقوافل بأكملها³، هناك أيضا قطاع الطرق وهجمات القبائل البدوية على القوافل التجارية التي تعبر هذا الطريق، فقد توقفت رحلة جوردون لينغ من إن صالح إلى تنبكتو بسبب المناوشات بين طوارق الهجار وأولاد دليم⁴، وكان أن أسرت هذه الأخيرة قافلة مكونة من 150 جملا في أبريل 1825م كانت متوجهة من إن صالح إلى تنبكتو، وبعد شهر نشبت معركة بين القبيلتين مما اضطر تجار من غدامس إلى التوقف بإن صالح لحين عودة الأمن⁵.

- طريق الجزائر- تنبكتو: يمر عبر البليدة، بوغار، الأغواط، غرداية، المنيعه، إن صالح ، أقبلي، بئر تيريشومين، حيث يلتقي بطريق توات تنبكتو، وقد سلكه الضابط بالا(Palat)، ولهذا الطريق فرع آخر من إن صالح إلى بئر عسيو، وتنيلوست، حيث يتفرع إلى فرعين كذلك: فرع إلى أقادم، وماو شرق بحيرة تشاد، وإلى أقادم وكوكا جنوبها، وفرع إلى الجنوب الغربي نحو أقاديس⁶.

1- مبارك جعفري- الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في منطقة الأرواد خلال القرن 13هـ/ 19م- أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث-

كلية العلوم الإنسانية- قسم التاريخ- جامعة الجزائر 2- 2014/2013م- ص 333.

2- Rolfs Gerhard- Op- Cit- p234.

3- محمد العربي الزبيري- التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792- 1830- ط 2- م و ك- الجزائر- 1972- ص 163.

4- أولاد دليم- قبيلة بربرية ارتفعت منزلتها السياسية في القرن الثامن عشر ، و أصبحت واحدة من أكثر قبائل البربر تحولا إلى العروبة. أنظر: رحلتان عبر ليبيا- المرجع السابق- ص 347.

5- رحلتان عبر ليبيا- المرجع السابق- ص 347.

6- يعي بوعزيز- مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية- ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر- 1999- ص 112.

- طريق إن صالح- غات: تعتبر مدينة غات الواقعة في أقصى الجنوب الليبي من المدن المهمة في طريق تجارة السودان بعد غدامس، قد كانت تحت سيطرة طوارق الأزجر، وقد ضمت المدينة تجارا من توات والطوارق والزنوج¹، ويمر الطريق بين المدينتين عبر مناطق جبلية وعرة عبر خنقة الحديد وأمقيد²، وهو طريق صعب جدا ولا يقطع في أقل من 20 يوما، وهناك طريق آخر يمر عبر السهول وهو أطول من الأول حيث يقطع في 40 يوما³. ويسيطر طوارق الطاسيلي ومويدر على الممرات الرئيسية لهذا الطريق⁴.

- طريق إن صالح- غدامس: تعد مدينة غدامس الليبية مركزا تجاريا مهما وممرًا للتجارة الصحراوية في القرن 19م، وتكمن أهميتها في انفتاحها على تجارة البحر الأبيض المتوسط عبر طرابلس وقابس وتونس⁵، وتبعد غدامس عن إن صالح بمسافة 22 يوما⁶، هناك طريقان يؤديان إليها، الأول الشمالي ويبدأ من حاسي أولاد مسعود، فارس أم الليل، واد ماسين، حاسي مسيجم، ضياء بن عبود، البيوض، تين إيجين، عين أمجين، العوجة، العالم الآخر، العالم الدوني، حاسي إمولاي، غدامس، وهو مسلك اقل ازدحاما بسبب غياب الأمن فيه. أما الطريق الثاني الجنوبي فيمر عبر هضبة التنغرت، تيماسنين، ويبدأ من حاسي أولاد مسعود، فارس أم الليل، واد ماسين، عرق الريح، تيلماس حامين، واد مالج، تيماسنين، تاد جنتورت، تابنكورت، بيلا غدامس، عين عيدي، بير قافقاف، حاسي تيفوشين، غدامس⁷.

وقد كان قسم كبير من تجارة هذا المسلك يُشغل من قبل تجار من إن صالح خاصة من قبيلة أولاد المختار وأولاد باحمو (خاصة أسرة أولاد باجودة)، و بعض الأسر الغدامسية التي استقرت بإن صالح، أما الحماية والنقل فكانت بيد طوارق الشمال خاصة من قبيلتي

1- عبد الرحمان تشايي- المرجع السابق- ص 86.

2 Cambon -Jules – Op-Cit- p461.

3- محمد العربي الزبيري- المرجع السابق- ص 68.

4 Cambon -Jules – Op-Cit- p461.

5- صالح بوسليم- المرجع السابق- ص 185.

6- عبد الرحمان تشايي- المرجع السابق- ص 56.

7 Cambon- Jules – Op-Cit- pp 453-454.

إيفوغاس وإيساكمون¹. ويعتبر هذا الطريق الأهم إذ تعبره أغلب القوافل التجارية، ومع ذلك قد يتم غلقه مؤقتا بسبب استمرار الأعمال العدائية بين البدو خاصة بين طوارق الأزجر وطوارق الهجار مثلما وقع بين عامي 1873 و1875، يضاف إلى ذلك توتر العلاقات بين الطوارق وأولاد باحمو مثلما حدث سنة 1884، على أن احتلال الجزائر والميزاب ثم احتلال تنبكتو عام 1894م وجه الضربة القاسية للتجارة الصحراوية عبر هذا الطريق².

- طريق المنيعه- إن صالح : هذا الطريق في معظمه عبارة عن أراض رملية ويبدأ من ربوة سيدي محمد وبعد قطع مسافة عشرة أيام يصل إلى إن صالح وتكون القافلة حينها قد قطعت حوالي 400 كلم³.

- طريق إن صالح- متليلي: من المسالك الصعبة خاصة في فصل الشتاء إذ يخترق العديد من الوديان، والتي تفيض في هذا الفصل، ويبدأ هذا الطريق من واد متليلي، ثم واد مسك، ثم واد نشوح، ثم واد قاعة، وعند هذه النقطة تكون القافلة قد قطعت 32 كلم، ويخترق الطريق عدة أودية أخرى وصولا إلى واد الشبابة ثم حاسي المنقار ثم إن صالح ويقطع هذا الطريق في 14 يوما⁴.

الخاتمة: تعد التجارة النشاط الاقتصادي الذي تقوم عليه حياة السكان بإن صالح، هذا إلى جانب الزراعة التي توفر موارد لتفعيل النشاط التجاري للمنطقة، وقد لعب الموقع الجغرافي لإن صالح كونها تتوسط المراكز التجارية في الصحراء لعب دورا هاما في جعلها نقطة عبور مفضلة للعديد من القوافل التجارية لنقل البضائع من الأسواق الشمالية أو تصريف البضائع السودانية من الجنوب، وهو ما جعلها وجهة تجارية للعديد من التجار من كافة الاتجاهات، كما بينت الدراسة نشاط العمليات التجارية على المسلك الرابط بين إن صالح وغدامس وقد ارتبطت المنطقة تجاريا بعدة أسواق من كافة الاتجاهات، كما ساهمت بدورها في التجارة

1- محمد أعفيف- توات: مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها- سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط- المملكة المغربية-2015- ص 130.

2 -Cambon Jules – Op-Cit- p467.

3 - Daumas Eugène - Le Sahara Algérien- études géographiques statistiques et historiques sur larégionau sud des établissements français- Dobos frères- Rue Bab Azoun- Alger- 1845- p220.

4-Ibid- p322.

الداخلية بينها وبين أسواق إقليم تواتي وهذا على الرغم من محدودية وشح الموارد التي ينتجها الإقليم اذ اقتصر على التمور والملح.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

سجلات المحكمة الشرعية:

- سجل التقارير والمراسلات (1960-1951).

- سجل البيع والشراء (1956-1945).

- سجل البيع والشراء (1956-1950).

الكتب:

- إبراهيم مياسي- الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934- دار هومة- الجزائر- 2005.

- توفيق بوزناشة- دليل الجمهورية- ج1- اكسوس تي في- الجزائر- 2013.

- رحلتان عبر ليبيا- رحلة فريدريك هورنمان من القاهرة إلى مرزق 1797_1897 ورحلة ورسائل الرائد ألكسندر جوردون لينج

1824_1826- نقله إلى العربية: دار الفرجاني- مكتبة الفرجاني- ليبيا- 1974.

- سعيدان التومي- سكان تيديكلت القدماء والاتكال على النفس- العالمية للطباعة والنشر- الجزائر- 2012.

- صالح بوسليم- إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 18/19 م- منشورات مغرب الجنوب الجزائري

للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة غرداية- الجزائر- ط1- 2019.

- عبد الرحمان تشايحي- الصراع التركي الفرنسي في الصحراء الكبرى- منشورات مركز جهاد الليبيين- ليبيا- 1982.

- فرج محمود فرج- إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر-

2007.

- محمد السويدي- بدو الطوارق بين الثبات والتغير- دراسة سوسيو-انثروبولوجية في التغير الاجتماعي- المؤسسة الوطنية للكتاب-

الجزائر- 1986.

- محمد أعقيف- توات مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها- سلسلة رسائل وأطروحات رقم 70- ط1- كلية الآداب والعلوم

الإنسانية- الرباط- المغرب- 2014.

- محمد العربي الزبيري- التجارة الخارجية للشرق الجزائري 1792-1830- ط2- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع- الجزائر.

- محمد بن عبد الله ابن بطوطة- رحلة ابن بطوطة: محفة النظائر في غريب الأمصار وعجائب الأسفار- تحقيق محمد عبد المنعم العريان-

راجعه مصطفى القصاص- دار إحياء العلوم- لبنان- ج2- ط1- 1987.

- يحيى بوعزيز- مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1999.

الرسائل الجامعية:

- عبد الله بابا- الحياة الاجتماعية والاقتصادية بإقليم توات إبان الاحتلال الفرنسي 1900-1962 م من خلال سجلات المحكمة

الشرعية- أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر- إشراف الدكتور مبارك جعفري- كلية العلوم الإنسانية و

الاجتماعية والعلوم الإسلامية- جامعة أدرار- الجزائر- 2018/2019.

- مبارك جعفري- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في منطقة الأزواد خلال القرن 13 هـ/ 19 م- أطروحة دكتوراه في التاريخ

الحديث- كلية العلوم الإنسانية- قسم التاريخ- جامعة الجزائر 2- 2013/2014 م.

-محمد أعفيف- توات: مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات و تاريخها- سلسلة رسائل و أطروحات رقم 70- منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط- المملكة المغربية-2015.

المقالات:

- برمكي رشيدة والحمدي أحمد- جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية لإن صالح من خلال سجلات المحكمة الشرعية- مجلة رفوف- م 12- ع 01 ماي 2024- ص 713.

-عبد القادر بويابة- دور الرحالة والمستكشفين في حركة التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية- مجلة عصور-العدد (5/4)- ديسمبر 2003 / جوان 2004- ص158.

باللغة الأجنبية:

- Bissuel Henri -Le Sahara français- Ed. Adolphe Jourdan Libraire- Alger- 1891.

- Cambon Jules -Documents Pour Servir A L'étude Du Nord Ouest Africain- Publisher Gouvernement Général De L'Algérie- Service Des Affaires Indigènes- Alger- 1894-1897.

- Colonel D'eu- In Salah Et Le Tidikelt- Librairie Militaire R Chapelot- Paris-1903.

- Daumas Eugène - Le Sahara Algérien- études géographiques statistiques et historiques sur larégionau sud des établissements français- Dobos frères- Rue Bab Azoun- Alger- 1845.

- Déporter. La Question du Touat au Sahara Algérien- Ed. Alger Fontana- Alger- 1891.

- M.A.Le Châtelier- Description de L'Oasis D'In- Salah- Alger Fontana-1886.

- Martin (Alfred.G.P)- Les oasis Sahariennes Gourara- Touat- Tidikelt-Edition de l'imprimerie algérienne- Alger- 1908.

- Martin (Alfred.G.P)- Quatre siècles d'histoire Marocaine (1504-1904)- Paris- 1923.

- Narcisse Faucon- Livre d'Or L'Algérie- Paris- 1889.

- Soleillet Paul - Avenir de la France en Afrique- Paris- Challamel-1876.

- Voinot Louis -Le Tidikelt étude sur la géographie l'histoire les mœurs du pays-Jacques gandini.

- Gouvernement Général de l'Algérie- Commissariat Général de Centraïne- les Territoires du Sud de l'Algérie- Année 1909.

- Gros Juies - Les Voyages et Découvertes Paul Soleillet dans le Sahara et dans le Soudan- Éditeur Maurice dreyfous- Paris- 1881.

- Rohlf's Gerhard- Voyages Explorations Au Sahara- Tom 1-Paris.